

نماذج من الرقي الأخلاقي

(٣)

إعداد الدكتور

عبد العزيز بن عبد الله الحميدي

الأستاذ بجامعة أم القرى

والمدرس بالمسجد الحرام



بسم الله الرحمن الرحيم





مواقف في التوجيه التربوي

(١)





من مواقف رسول الله ﷺ

من ذلك ما أخرجه الإمام
أحمد من خبر أبي أمامة صدي بن
عجلان الباهلي رضي الله عنه قال: إن
فتى شابا أتى النبي ﷺ - فقال:
يا رسول الله ائذن لي بالزنى، فأقبل
القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه^(١) ،

(١) أي اسكت.



فقال: ادنه فدنا منه قريباً، قال:
فجلس، قال: أتحبه لأملك؟ قال: لا
والله جعلني الله فداك، قال: ولا
الناس يحبونه لأمھاتهم، قال: أفتحبه
لابتئك؟ قال: لا والله يارسول الله
جعلني الله فداك، قال: ولا الناس
يحبونه لبنائهم، قال: أفتحبه لأختك؟
قال: لا والله جعلني الله فداك، قال:
ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال:
أفتحبه لعمتك، قال: لا والله جعلني



الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه
لعمايتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال:
لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا
الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع
يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه
وطهر قلبه وحسن فرجه، فلم يكن
بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء^(١).

(١) مسند الإمام أحمد ٢٥٦/٥ .



وهكذا أقنع النبي ﷺ ذلك
الفتى بالعدول عن رغبته الجامحة
وذلك بنقله من الأنانية والقصور
على التفكير بالذات إلى التفكير في
مصلحة أفراد المجتمع الآخرين.

لقد كان - وهو يبدي رغبته
في الزنى - يحمل فكرًا عدوانيًّا، فهو
لا يريد الضرر لأهل بيته ولكنه
يطلب الإذن في أن يكون مصدر أذى
للآخرين، ولقد كان - وهو يبدي



تلك الرغبة - لا يتصور أنه سيهتك
أعراض الناس، ولم تتبلور في مخيلته
فكرة المقارنة بين أهله وأهالي الناس
الذين سيعتدي على أعراضهم، فلما
أن ساء له النبي ﷺ وعقد له مقارنة
بين نساء أسرته ونساء الآخرين تبين
له أنه مقدم على جريمة كبيرة
وتخريب لبيوت الناس.

وإن أي إنسان عاقل لو
تصور أن تلك الضحية التي ستكون



هدفا للمعتدين إنما هي إحدى
محارمه فإنه ستتشعر نفسه من الزنى
وستنقطع عنه وساوس الشيطان.
وإن هذه المحاورة لتبين لنا ما
جُبل عليه رسول الله ﷺ من مكارم
الأخلاق، حيث لم ينتهر ذلك الشاب
الذي تقدم بذلك الطلب الشاذ، وإنما
أخذه بالحوار الهادئ حتى استل من
نفسه سيطرة الشهوات ونزغات
الشيطان، كما تبين لنا من هذه



المحاورة مقدرة النبي ﷺ الفائقة على
الإقناع وتغيير الاتجاهات الفكرية.
ومن ذلك ما أخرجه الإمام
مسلم من حديث أنس بن مالك
رضي الله عنه قال: بينما نحن في
المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء
أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال

أصحاب رسول الله ﷺ: مه مه ^(١) قال
قال رسول الله ﷺ: لاترزموه ^(٢)
دعوه، فتركوه حتى بال، ثم إن
رسول الله ﷺ دعاه فقال له: إن هذه
المساجد لاتصلح لشيء من هذا
البول ولا القذر، إنما لذكر الله عز
وجل والصلاة وقراءة القرآن - أو

(١) أي اسكت وهي هنا بمعنى ما بالك؟

(٢) أي لا تقطعوا عليه بوله.

كما قال رسول الله ﷺ - قال: فأمر
رجلا من القوم، فجاء بدلو من ماء
فشنه عليه ^(١).

وأخرجه الإمام البخاري
مختصرا من حديث أبي هريرة رضي
الله عنه. وفيه « فإنما بعثتم ^(٢) ميسرين

(١) أي فضبه عليه - صحيح مسلم رقم ٢٨٥ .

(٢) أي إنما كلفتم بالدعوة والتبليغ.

ولم تبعثوا معسرين»^(١).

فهذا مثل من منهج رسول
الله ﷺ التربوي الرحيم، فعلى الرغم
من شناعة المخالفة التي ارتكبها ذلك
الأعرابي فإن النبي ﷺ ينهى أصحابه
عن معاملته بالقسوة ويأخذه باللين
والهدوء، ويبين له أن تلك المخالفة

(١) صحيح البخاري، رقم ٢٢٠.

التي ارتكبتها تتنافى مع قدسية
المساجد والأهداف التي بنيت من
أجلها.

ولاشك أن هذه المعاملة
الرحيمة ستترك أثرًا طيبًا في نفس
ذلك الأعرابي، وهذا الأثر الطيب
سيقوده إلى الإسلام إن كان لم يسلم
بعد، كما سيقود الآخرين ممن
يسمعون بهذا الخبر، إضافة إلى أنه
يُعدُّ تربية بالقُدوة الحسنة للمسلمين



كي يعاملوا الكفار باللطف والرحمة
ليتألفوهم إلى الإسلام، كما يشير إلى
ذلك قول رسول الله ﷺ في هذا
الحديث « فإنما بعثتم ميسرين ولم
تبعثوا معسرين ».

وكون النبي ﷺ أمر بصبِّ
دلوٍ من الماء على بول ذلك الرجل
يناسب كون المسجد النبوي - آنذاك
- مفروشاً بالحجارة الصغيرة، فأول
الماء يختلط بالبول فينزل به إلى



الأرض، وآخر الماء يطهر الحجارة
من آثار البول، لكن هذا التوجيه لا
يناسب ما إذا كانت المساجد مبلطة
أو مفروشة، لأن ذلك يمنع من نزول
الماء إلى الأرض ؛ فيبقى الفراش أو
البلاط قد اختلط فيه الماء والبول ؛
فلا يطهر بتلك الطريقة، وإنما يُغسل
الفراش أو البلاط حتى يحصل التأكد
من طهارة الموضع.

ومن ذلك ما أخرجه الإمام



النسائي من خبر عبد العزيز بن عبد
الملك بن أبي محذورة أن عبد الله بن
مُحِيرِز أخبره وكان يتيماً في حجر أبي
محذورة حتى جهزه إلى الشام قال
قلتُ لأبي محذورة^(١) إني خارج إلى
الشام وأخشى أن أسأل عن تأذنيك،
فأخبرني^(٢) أن أبا محذورة قال له:

(١) هو أوس بن مَعْيَر الجمحي.

(٢) يعني ابن مُحِيرِز .



خرجت في نفر فكنا ببعض طريق
حين مَقفل رسول الله ﷺ من حُنين
فلقينا رسول الله ﷺ في بعض الطريق
فأذن مؤذن رسول الله ﷺ بالصلاة
عند رسول الله ﷺ، فسمعنا صوت
المؤذن ونحن عنه متنكبون فظللنا
نحكيه ونهزأ به، فسمع رسول الله ﷺ
الصوت فأرسل إلينا حتى وقفنا بين
يديه، فقال رسول الله ﷺ: أيكم الذي
سمعت صوته قد ارتفع فأشار القوم

إِلَيَّ وَصَدَقُوا فَأَرْسَلَهُمْ كُلَّهُمْ
وَحَبْسَنِي، فَقَالَ: قُمْ فَأُذِّنْ بِالصَّلَاةِ
فَقُمْتُ فَأَلْقَى عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
التَّائِذِينَ هُوَ بِنَفْسِهِ، قَالَ: قُلِ اللَّهُ أَكْبَرُ
اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ أَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ أَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ ارْجِعْ
فَامْدِدْ صَوْتَكَ ثُمَّ قَالَ قُلِ أَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ



أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن
محمداً رسول الله حي على الصلاة
حي على الصلاة حي على الفلاح
حي على الفلاح الله أكبر الله أكبر لا
إله إلا الله، ثم دعاني حين قضيت
التأذين فأعطاني صرةً فيها شيء من
فضة، فقلت: يا رسول الله مرني
بالتأذين بمكة فقال: قد أمرتك به،
فقدمتُ على عتّاب بن أسيد عامل
رسول الله ﷺ بمكة فأذنت معه



بالصلاة على أمر رسول الله ﷺ^(١).

فهذا مثال لمنهج رسول الله ﷺ في الدعوة إلى الإسلام عن طريق تأليف القلوب بالأخلاق الفاضلة والمعاملة الكريمة وإهداء المال، فبعد أن كان أبو مخذورة أوس بن معير الجمحي - حيث كان ومن معه من

(١) سنن النسائي، (٥/٢) .

الذين استسلموا لقوة الإسلام ولم
يدخل الإيمان قلوبهم - أصبح يطلب
من رسول الله ﷺ أن يأذن له بالأذان
في مكة المكرمة، وذلك بعد أن هداه
الله تعالى فآمن حقاً بالإسلام.

وهكذا يُسألُ النبي ﷺ سخائم
الصدور، ويطهر القلوب من أمراض
الغل والحقْد والحسد، ويصحح
العقول من الشك والتردد بمعاملة
الناس بمكارم الأخلاق.. من الحلم



والأناة والبشاشة واللفف
والسخاء.. فإذا بأقسى الناس قلبا
يكون من ألين الناس عريكة
وأسرعهم استجابة، وإذا بأشدهم
تمسكا بالباطل يكون من ألطفهم
انقيادا للحق واستسلاما له.



من مواقف أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ثلاث يصفين لك ود أخيك: تبدؤه بالسلام إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه ^(١).

فهذه درر من توجيهات أمير

(١) تاريخ دمشق ٤٤/٣٥٩.



المؤمنين عمر عليه السلام التربوية، التي تهدف
إلى تصفية الود بين الإخوة المؤمنين،
وما أحوج المسلمين إلى المودة بينهم،
وتصفية قلوبهم من الغش والكدر،
فالبداء بالسلام إعلان بالمودة،
والتوسعة في المجلس إظهار للحفاوة
والعناية، وإخراج للأخ القادم من
الخرج، والدعوة بأحب الأسماء
مراعاة للشعور، وكلها تؤدي إلى
تحقيق المحبة وتصفيتها من الكدر.



ومن ذلك ما أخرجه الحافظ
ابن عساكر من خبر محمد بن الحكم
عن عوانة قال: كتب عمر بن
الخطاب إلى ابنه عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما: أما بعد فإن من اتقى
الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن
أقرضه جزاه، ومن شكره زاده،
فلتكن التقوى عماد عملك، وجلاء
قلبك، فإنه لا عمل لمن لانية له، ولا
مال لمن لارفق له، ولا جديد لمن لا



خَلَقَ لَهُ ^(١) .

فهذه موعظة بليغة اشتملت
على حكم جليلة، تعتمد على ربط
المسلم بربه جل وعلا، فالإنسان
ضعيف محتاج إلى حفظ الله وحمايته
في الدنيا وهو أحوج إلى ذلك في
الآخرة، وما عليه كي يتمتع بحفظ

(١) تاريخ دمشق ٣٥٦/٤٤.



الله تعالى ووقايته إلا أن يتقيه وأن
يتوكل عليه، وتقواه إنما تكون
بطاعته، وذلك بفعل أوامره واجتناب
نواهيه.

ثم يحث ابنه عبد الله على
الصدقة والشكر والإخلاص في
العمل والزهد في الدنيا، وكل هذه
الأمور مهمة في الدين.

ومن ذلك ما أخرج الحافظ
ابن عساكر من خبر عكرمة مولى ابن



عباس رضي الله عنهما قال قال عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه: من كتم سره كانت
الخيرة في يديه، ومن عرض نفسه
للتهمة فلا يلوم من أساء به الظن،
ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك
سوءاً وأنت تجد لها من الخير مدخلا،
وضع أمر أخيك على أحسنه حتى
يأتيك منه ما يغلبك، ولا تكثر الحلف
فيهينك الله، وما كافات من عصي الله
فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وعليك



بإخوان الصدق، اكتسبهم فإنهم زين
في الرخاء عدة عند البلاء^(١).
فهذه حكم بالغة، وكل حكمة
تعبر عن فصل من فصول التربية.
فالحكمة الأولى « من كتم سره
كانت الخيرة في يديه » فالإنسان
حاكم نفسه مادام سره بين جنبيه،

(١) تاريخ دمشق ٣٥٩/٤٤.

فإذا أفشى السر لواحد من الناس أو
أكثر فإنه لو رأى أن المصلحة في عدم
الإفشاء لم يستطع رد أمره إلى السرية.
والثانية: «ومن عرض نفسه
للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن»
فالإنسان هو المسؤول عن نفسه قبل
الناس، فعليه أن يحاول إبراء ساحته
بكل ما يستطيع، وإذا ظن أن بعض
الناس قد يفهمون من سلوكه خلاف
مراده فليسارع إلى كشف أمره وإن



كان موضع الثقة وسمعته عالية في المجتمع فإن النبي ﷺ قال للرجلين الذين رآياه ومعه امرأة تسير في الليل «على رسلكما إنها صفية بنت حيي».

والثالثة: «ولاتظنن بكلمة

خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجدها في الخير مدخلا، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك» فهذا توجيه جليل في التحرز من سوء الظن، فأحسان



الظن بالمسلمين مطلوب من المسلم،
وأن يحاول تأويل الكلمات التي
ظاهرها الشر بما تحتمله من خير حتى
يجد أن تلك الكلمات متمحضة
للشر، فذلك مطلوب من المسلم مع
أخذ الحذر لنفسه ولمن هم تحت
ولايته حتى لا يؤخذ على غرة.

والرابعة «ولا تكثر الحلف
فيهينك الله» فالحلف بالله تعالى
تعظيم له، فإذا كان الحلف بقدر



الحاجة وفي حال التعظيم لله تعالى
وخشيته كان ذلك من توحيده
وإجلاله جل وعلا، أما إذا أكثر
المسلم من الحلف بالله تعالى حتى في
الأمر الحقيقه فإنه لن يصاحب ذلك
تعظيم له سبحانه، بل يدخل في باب
الاستهانة وعدم المبالاة، فتكون
عاقبة ذلك تعرض المكثر من الحلف
لإهانة الله تعالى إياه، ومن تعرض
لذلك فقد خسر خسرانا مبينا.



الخامسة: «وما كافات من عصي
الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه» فإذا
كان بينك وبين أحد خلاف فعصى
الله تعالى بسببك، إما بالاعتداء عليك
أو انتهاك عرضك أو أخذ مالك فإن
أفضل جزاء تجايزه به أن تطيع الله
جل وعلا فيه، وذلك بالتزام الأدب
الإسلامي في الخلاف، وحفظ حق
أخيك المسلم، بأن لا ترد عليه
بالمستوى الهابط الذي خاطبك به، ثم



إن عفوت عنه وتنازلت عن حقك
فذلك من كمال طاعة الله سبحانه.

السادسة: « وعليك بإخوان
الصدق » نعم فرب أخ لك لم تلده
أمك، بل إن إخوان الصدق الذين
اتلفت قلوبهم على التقوى أعظم
تضحية وإحسانا من إخوان النسب
إذا لم يكونوا كذلك، فإخوان الصدق
سعادة للإنسان في وقت الرخاء، يسر
بلقائهم، ويشترك معهم في أعمال البر



والإحسان والإصلاح، فإذا نزل
البلاء وجدَّ الجد فهم عدة لإخوانهم
يتسابقون إلى البذل والتضحية
ويتنافسون في أداء الأعمال الشاقة،
ويؤثرون على أنفسهم وإن كانوا في
مسيب الحاجة.

ومن أمثلة تربيته التي اتصفت
بالشدة والحزم ما أخرجه الحافظ عبد
الرزاق الصنعاني من حديث أبي
عمرو الشيباني قال: كنا عند عمر بن



الخطاب، فَأُتِيَ بطعام له، فاعتزل
رجل من القوم، فقال: ما له؟ قالوا:
إنه صائم، قال: وما صومه؟ قال:
الدهر، قال فجعل يقرع رأسه بقناة
معه ويقول: كل يادهر: كل يادهر^(١).
وإسناده صحيح.

وإنما لجأ أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه

(١) مصنف عبد الرزاق رقم ٧٨٧٢، (٤/٢٩٨).

إلى استعمال أسلوب الشدة مع ذلك
الرجل لأنه قد اشتهر عند أصحابه
رضي الله عنهم نهي النبي ﷺ عن
صيام الدهر، فكان عمل ذلك
الرجل مخالفة صريحة لهذا النهي.



من مواقف أمير المؤمنين علي عليه السلام

من ذلك ما أخرجه الحافظ ابن
عساكر من خبر عامر بن شراحيل
الشعبي قال قال علي بن أبي طالب
رضي الله عنه: إني لأستحيي من الله
أن يكون ذنب أعظم من عفوي، أو
جهل أعظم من حلمي، أو عورة
لا يوارئها سترتي، أو خلة لا يسدها
جودي^(١).

(١) تاريخ دمشق ٤٢ / ٥١٧.



فهذه أربع صفات من النقص
قابلهن أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب رضي الله عنه بأربع صفات
من الكمال، فالحياء من الله عز وجل
يقتضي من الإنسان أن يتصف بالعفو
عند المقدرة، وذلك فيما إذا لم يكن
الذنب فيه حد من حدود الله تعالى،
وأن يتصف بالحلم الذي يحتوي
جهل الجاهلين، وأن يكون ستارا
لعيوب الناس، وأن يتسع كرمه لسد



حاجة من احتاج إليه.

ومما أعطى هذه الحكم وزنها
الراجح أن عليا رضي الله عنه ربطها
بالحياء من الله تعالى، فهذه الصفات
الأربع تعدُّ من صفات الكمال عند
العقلاء، لكن كثيرًا من العقلاء
يتصف بها لكسب السمعة الدنيوية
وسياسة الأمور بكسب محبة الناس
ورضاهم، أما عليُّ رضي الله عنه فإنه
ربطها بالحياء من الله تعالى لأن هدفه



الأعلى ابتغاء رضوان الله جل وعلا
وفضله في الجنة ولائهم سمعته في
الدنيا، ولاشك أن من كان هذا
هدفه سيكون تمثيله لهذه الصفات
أقوى بكثير ممن كان هدفه دنيويًا.

ومن ذلك ما أخرج الحافظ
ابن عساكر من خبر أبي عبد الرحمن
السلمي قال: خطب علي بن أبي
طالب رضي الله عنه على منبر
الكوفة، فحمد الله تعالى وأثنى عليه



وقال: أيها الناس إن أخوف ما أخاف
عليكم طول الأمل واتباع الهوى،
فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما
اتباع الهوى فيصد عن الحق، ألا إن
الدنيا قد ولت مدبرة والآخرة مقبلة،
ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من
أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء

الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب،
وغداً حساب ولا عمل^(١).

فقد أشار أمير المؤمنين علي
رضي الله عنه في هذه الخطبة إلى
أمرين خطيرين لهما تأثير كبير في حياة
الناس وهما طول الأمل بالبقاء على
قيد الحياة، فإنه يخدع الإنسان فيشغله

(١) تاريخ دمشق ٤٢ / ٤٩٤.

بآماله وطموحاته الدنيوية، وينسيه
الحياة الآخرة، فيتضخم عمله للدنيا
ويتضاءل عمله للآخرة، ولو أن كل
إنسان وضع في مخيلته أنه معرّض
للموت في كل ساعة لأصبح العمل
للدنيا قليلا بقدر الضرورة، ولأصبح
العمل للآخرة كثيرًا لأنه هو الذي
سيبقى بعد الموت.

أما اتباع الهوى فإنه يغير اتجاه
صاحبه، ويجعل الهدف الأعلى في



فكره هو تحقيق هوى نفسه وهوى
من يعمل تحت إدارتهم وينسى
الهدف الإسلامي الأعلى الذي هو
ابتغاء رضوان الله تعالى وفضله في
الجنة، وبناءً على تغير الأهداف فإن
مناهج العمل تتغير فتصبح مناهج
دنيوية يُراد منها تحقيق أهداف
لا تتجاوز الحياة الدنيا، كما تتغير
العلاقات والروابط، فتصبح الأخوة
قائمة على المصالح الدنيوية بدلا من
الإيمان والتقوى، إلى غير ذلك مما



يترتب على تغيُّر الأهداف.

ومن ذلك ما أخرجه أبو نعيم
من خبر الحسين بن علي عن علي
رضي الله عنهما قال: أشد الأعمال
ثلاثة: إعطاء الحق من نفسك، وذكر
الله على كل حال، ومواساة الأخ في
المال ^(١).

فهذه ثلاثة أعمال عظيمة تحتاج

(١) حلية الأولياء ١ / ٨٥.

إلى شيء من مجاهدة النفس، فإعطاء
الحق من النفس يعني التجرد من
حظها وإرغامها على قبول الحق وإن
كان ضدها، وإذا بلغ الإنسان إلى
درجة أنه يعطي الحق من نفسه فإنه
سيعطي من أقاربه وأصحابه.

أما ذكر الله تعالى فإن المداومة
عليه تحتاج إلى صبر ويقظة وتمارين
للنفس على استحضار رقابة الله عز
وجل الدائمة على العبد.



وأما مواساة الأخ بالمال فإن
النفس تحتاج إلى جهاد لتتنازل عن
محبوبها وهو المال، فإذا نجح المسلم
في جهاد نفسه فإنه سيجد بعد ذلك
راحة في إنفاق المال في وجوه الخير.



من مواقف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

من ذلك ما رواه عبد الرحمن
ابن حنبل عن أبيه عن عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول
إذا قعد: إنكم في ممرّ الليل والنهار في
آجال منقوصة وأعمال محفوظة،
والموت يأتي بغتة، من زرع خيرًا
يوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع
شرًا يوشك أن يحصد ندامة، ولكل
زارع مثل ما زرع، ولا يُسبَقُ بطيء



بحظّه، ولا يدرك حريص ما لم يقدر
له، فمن أُعطي خيراً فالله تعالى
أعطاه، ومن وُقي شراً فالله تعالى
وقاه. المتقون سادة، والفقهاء قادة،
ومُجالستهم زيادة^(١).

فهذا تذكير للمسلمين بما
يتعرضون له من تناقص الآجال

(١) حلية الأولياء (١/١٣٣).



بمضي العمر، وأن كل يوم يمر على
المسلم فإنه ينقضي بما كتب فيه من
خير أو شر، فالعاقل لا يمني نفسه
بالعمل في المستقبل، لأنه إن عاش
فقد خسر الأيام التي قصر فيها، وإن
باغته الأجل لم يكن هناك فرصة
لمضاعفة العمل.

وتذكير بما سيواجهه العاملون
عند حصاد زرعهم، فإذا كان الزارع
يحاول أن يُحسِّن نتاج زرعه ويقيه من



الآفات فإن المسلم الذي يعمل
لآخرته أولى به أن يرفع رصيده من
الحسنات وأن يخفض رصيده من
السيئات، فإن الجزاء الأخروي يكون
- بعد فضل الله ورحمته - بموجب
هذا الرصيد، حيث تزول القوى
البشرية، وتنحلُّ الروابط الدنيوية،
ويصبح كل فرد مشغولاً بنفسه،
مشفقاً عليها من الهلاك، مؤملاً
بالنجاة، فالملك لله تعالى وحده، هو



الذي يعطي بكرمه وفضله، ويمنع
بحكمته وعدله.

ويختتم ابن مسعود رضي الله
عنه موعظته ببيان طبقات الأمة
العليا، فيذكر أن المتقين هم سادة
الأمة وأن الفقهاء هم قادتها، فالتقون
سادة الأمة لأن الأمة مكوّنة من
أقوياء الإيمان ومتوسطي الإيمان
وضعفاء الإيمان، فالتقون هم أقوياء
الإيمان، وأقوياء الإيمان يجب أن



تكون لهم السيادة في جميع شؤون
الحياة، والفقهاء في الدين من هؤلاء
لهم القيادة العليا، لأنهم هم أهل
البصيرة في الدين، فهم الذين
يتمكنون من الإشراف على تطبيق
الإسلام في الأرض.

ويشير ابن مسعود بقوله
«ومجالستهم زيادة» إلى أن من يحسُّ
بضعف في إيمانه بما يرى في نفسه من
تقصير في الطاعات أو مقارفة



للسيئات فعلية أن يجالس أقوياء
الإيمان وأن يرتبط بهم حتى يزيد
إيمانه ويلحق بركب المتقين.
ففي هذه الوصية أمور منها:

١ - الاستقامة على سلامة
الهدف والمنهج، فأما سلامة الهدف
ففي لزوم التوحيد، وذلك باجتنب
الشرك بجميع أنواعه، وأما سلامة
المنهج فتتحقق بلزوم كتاب الله تعالى
وسنة نبيه ﷺ التي هي بيان للقرآن.



٢ -الولاء الكامل للحق الذي
بينه هذا المنهج وقبوله بالرضى
والتسليم ممن جاء به، ورفض جميع
المؤثرات التي تؤثر على ذلك، ومنها
كون القائل بالحق بعيداً عن السامعين،
إما لكونه من جماعة أخرى أو من بلد
آخر أو غير ذلك، ومنها كونه بغیضا
عندهم، إما لسبق مواقف من الخلاف
الدائر بينهم، أو تدخل آخرين بتشويه
سمعته، أو غير ذلك.



من مواقف أبي الدرداء رضي الله عنه

من النصوص المهمة في التربية
مارواه أيوب عن أبي قلابة أن أبا
الدرداء مرَّ على رجل قد أصاب ذنبا
فكانوا يسبُّونه فقال: أرايتم لو
وجدتموه في قليب ألم تكونوا
مستخرجيه؟ قالوا: بلى ، قال: فلا
تسبُّوا أخاكم واحمدوا الله عز وجل
الذي عافاكم، قالوا: أفلا تبغضه؟
قال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه



فهو أخى^(١) .

وإننا لنلمس في هذا الأثر تربية
حكيمة وتوجيها سليما، فالمسلم إذا
غلبته نفسه الأمانة بالسوء فارتكب
شيئاً مما نهى الله تعالى عنه فإنه لا يفقد
أخوته للمسلمين، بل يظل أخاً لهم
بمقتضى الإسلام، وإن كان

(١) مصنف عبد الرزاق (١١ / ١٨٠) .

الصالحون ييغضون أعماله السيئة.
وهكذا يقرر أبو الدرداء رضي
الله عنه مبدأ مهمًّا من مبادئ الأخوة
الإسلامية، وهو أن الأخوة الدينية
باقية ثابتة حتى لأهل المعاصي
ولأنّ تنزع بالكلية إلا بالارتداد عن
الإسلام، وإن كانت تتفاوت قوة
وضْعفًا حسب قوة الالتزام الديني
وضْعفه.

وقد توصل أبو الدرداء إلى



شرح هذا المعنى بمثل قدّمه بين يدي
ذلك حيث قال لأولئك الذين
يسبّون أخاهم الذي وقع في معصية:
أرأيتم لو وجدتموه في قلب ألم
تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى، قال:
فلا تسبوا أخاكم واحمدوا الله عز
وجل الذي عافاكم.

فاستدل بالمعنى الذي لا يزال
باقيا في أذهانهم من معاني الأخوة
الإسلامية وهو نصرة المسلم وإنقاذه



من الهلاك على المعنى الذي غاب
عنهم وهو الكفُّ عن عرضه وإن
وقع في مخالفة، مع حمد الله تعالى على
المعافاة مما وقع فيه المخالفون.

وهو بهذا يحقق دقة العالم الذي
يقيس الأمور ويوازن بين المقتضيات
اللازمة، إلى جانب براعة المربي الذي
ينظر إلى الهابط نحو الرذائل نظرة
رحمة وشفقة لانظرة شهامة وتشفّي،
ثم يحاول أن يأخذ بيده ليرفعه إلى
المستوى الذي يعيش فيه أهل



الاستقامة..

ومن ذلك ما ذكره الإمام ابن
الجوزي من حديث أبي وائل رحمه
الله قال قال أبو الدرداء: إني لآمركم
بالأمر وما أفعله ولكن أرجو فيه
الأجر، وإن أبغض الناس إلي أن
أظلمه مَنْ لا يستعين عليّ إلا بالله عز
وجل^(١).

(١) صفة الصفوة (١/٦٢٨).



وقوله « إني لأمركم بالأمر وما
أفعله ولكن أرجو فيه الأجر » يعني
بذلك أفعال الخير التي هي من باب
النوافل، وأفعال الخير هذه واسعة،
فقد لا يملك الإنسان أسباب بعضها،
فيتَّجه إلى ما يملكه كما أرشد النبي ﷺ
الفقراء إلى الأعمال الصالحة التي
يقدرون عليها حينما قالوا : ذهب
أهل الدثور بالأجور، وقول أبي
الدرداء من هذا النوع، فقد يأمر بعق



المملوكين وليس لديه من يملكهم
حتى يعتق، وقد يكون الإنسان
الداعية ضعيف البدن لا يستطيع
الإكثار من صيام النفل فلا يعني هذا
أن يمتنع من تذكير الناس بذلك،
لأنه يؤجر على العمل الصالح إذا
عمل ويؤجر على الدعوة إذا ذكّر
المسلمين.

وقوله « وَإِنَّ أَبْغَضَ النَّاسِ إِلَيَّ
أَنْ أَظْلِمَهُ مِنْ لَا يَسْتَعِين عَلَيَّ إِلَّا بِاللَّهِ »



عز وجل» فقه بليغ لمصائر الأعمال
ونتائجها الأخروية، فالذي يستعين
على ظالمه بالناس قد يأخذ حقه في
الدنيا، وهذا يخفف على الظالم كثيرا
من الحساب يوم القيامة، فظلم هذا
أهون من ظلم المستضعفين، أو الذين
يترفعون عن الشكوى لأن هؤلاء
يوافون الظالم يوم القيامة بحقهم
الكامل فيشتد حسابه ويلزم بتعويض
المظلومين من حسناته، فإن وفَّ



وإلا أُخِذَ من سيئاتهم فطُرِحَتْ عليه،
ثم ماذا سيكون مصير هذا المنكوب
الذي أخذت حسناته وضوعفت
سيئاته؟!

ومن وصايا أبي الدرداء رضي
الله عنه المفيدة ماجاء في قوله: تفكّر
ساعة خير من قيام ليلة، رواه الإمام
أحمد من حيث سالم بن أبي الجعد،
وقد كان مطبقا لذلك كما روي من
حديث عون بن عبد الله قال: سُئِلْتُ



أم الدرداء: ما كان أفضل عمل أبي
الدرداء؟ قالت: التفكير والاعتبار^(١).
وإنما كان التفكير والاعتبار من
أفضل الأعمال لأنه لا بد أن يصاحبه
حضور القلب مع الله تعالى، وهذا هو
الذكر القلبي الذي هو روح جميع
العبادات، فالذي ينظر في مخلوقات

(١) الزهد / ١٣٥.



الله العظيمة ويتأمل في دقة تكوينها
وحسن نظامها، وما يترتب من
النكبات الكبرى لو اختل نظام
الكون قيد شعرة، ثم يتأمل في القوة
العظمى التي تمسك بنظام الكون..
الذي يفكر هذا التفكير يتقوى إيمانه
ويعظم يقينه، ويخشى الله تعالى عن
علم وبصيرة لأنه يكون من العلماء
بالله تعالى الذين قال فيهم جل وعلا
﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨].





فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	مواقف في التوجيه التربوي (١)
٧	من مواقف النبي ﷺ
٢٧	من مواقف أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه
٤٣	من مواقف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه
٥٤	من مواقف أمير المؤمنين عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
٦٢	من مواقف أبي الدرداء رضي الله عنه
٧٥	فهرس الموضوعات

